بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه اجمعين

مناقشة عرض الاستاذ فؤاد محمد خطاب:

رد الوهم ودفع الايهام عن منافاة انحصار الاسانيد القرءانية في الامام ابن الجزري لشرط تواتر القرءان

اعداد الاستاذ الدكتور محمدعلي عطفاي

جامعة القرويين فرع مسجد الحسن الثاني الدار البيضاء المغرب

– مؤتمر ابن الجزري الدولي

بورصة تركيا 31 اكتوبر 5 نونبر 2018

بسم الله الرحمن الرحيم

في البداية ايها الاخوة ,انا ممتن لرئاسة الشؤون الدينية وهيئة تدقيق المصاحف على هذه الدعوة الكريمة لاحياء قيم الوفاء لشخصية علمية انطلق اشعاعها من هذه المدينة العريقة, وقل وجود قارئ إلا وللامام عليه فضل.

ومغتبط من جهة اخرى لتنوع المواضيع المطروحة وامتدادها على شتى الاهتمامات مما يربط الجميع بالمنصة ويجدد النشاط ويفتح آفاق التعاون.

ومن جهة ثالثة بنطام المناقشة. وذلك ما يضفي على المشاركات جدية وصدقية ببحث ما الجأت ظروف الاستعجال الباحثين الى تجاوزه او التقصير في بيانه.

فجزاكم الله كل خير على عملكم النبيل وضيافتكم الكريمة.

وسوف احاول التأقلم مع الدقائق المسموح بها وألخص اوراقي في العناوين التالية:

اولا: وقفة مع العنوان

ايها الاخوة .اسمحوا لي ان اقف بكم وقفة قصيرة مع العنوان.

ذلك ان العناوين عند العقلاء هي خلاصة الابحاث وزبدة الفكر.

وهي تصاغ لاهداف:

منها لفت انتباه المطلع الى الموضوع ليقرر المضي الى قراءته ان دخل في دائرة اهتمامه, او صرف النظر عن ذلك.

ومنها تلخيص فكرة او نتيجة بحث الباحث في الموضوع.

ومنها توجيه المار على الموضوع بشكل ذكي الى المواقف دون أن يشعر بالانقياد .

ومنها اغناء من لا قدرة له على المتابعة او لا صبر له على معاناة البحث ليخلص بقناعة او تقليد وركون الى ثقة بالمؤلف وبالنتيجة التي يتبناها.

ولهذا فالعالم كله يهتم بالعناوين: سياسة وفلسفة واقتصادا وفقها ووو

ودقة العنوان الذي اهتم به علماء المسلمين بحثا واعرابا وتوجيها ليس ترفا ثقافيا على الاطلاق. فمعذرة.

واهتمامي بعنوان البحث فقط لأنه يعطي عكس ما يرمي أخي الباحث الى الخلوص اليه.وبالتاكيد ستقفون معي على ذلك.

ونحن الان امام ثلاثة عناوين:

الاول: ذلك العنوان الذي بلغتني به الهيئة مشكورة وتحمست للمشاركة بمناقشته قبل وصول نسخة صديقي الاستاذ الى يدي. وهو:

رد الوهم ورفع (بالراء) الايهام عن انحصار الاسانيد القرءانية في ابن الجزري وبيان تواتر اسانيد القرءان.

فالهيئة على ما اعتقد هي التي تحدد مسار مواضيع الندوات وتريد من الباحثين دفع ما يعتقده البسطاء من ان اسانيد القرءان منحصرة في الامام وما اورده في كتبه.

وهذا الاعتقاد غير صحيح كما يؤكده عنوان الهيئة في شطره القائل: وبيان تواتر اسانيد القرءان.

وقد لاحظت ان في عنوان الهيئة بعض ما يرد عليه وان كان مستدركا في شطره الثاني.

وملخص الايراد في حرف الجر"عن" وسنتحدث عنه بعد قليل.

العنوان الثاني: هو السؤال الذي طرح في المؤتمر السابق وكان وراء انشغال الاستاذ الباحث بالموضوع. وهو:

الا ينافي انحصار الاسانيد القرءانية المعاصرة في الامام ابن الجزري شرط تواتر القرءان؟

نحن لا نعرف السائل .فقد يكون من جمهور حضور المؤتمر من صغار الطلبة او من الغرباء عن القرءان والقراءات, دفعه الى ذلك كتابات من يراهم مختصين فاوقعته في هذا الوهم الذي هو:

= انحصار الاسانيد التي قيدها بالمعاصرة في ابن الجزري.

= وان هذا الانحصار المسلم به عنده وعند من اوهمه يتنافى مع شرط تواتر القرءان.

= التقييد بالمعاصرة فيه مفارقة غريبة بين منهج الامام الذي ارتضاه لنفسه فحاكم به اقوال وروايات من تقدمه بما قيهم شيوخه,وبين تقوقع من بعده فيه وجعل اقواله ءاخر الاقوال.

وكيفما كان السؤال وممن كان فإنه لا يعكس سوى رغبة صاحبه في كشف ما أصابه من غمة,وما انتابه من اشكال.

اما العنوان الذي اشتغل الباحث على وفاقه فهو:

رد الوهم ودفع (بالدال)الايهام عن منافاة انحصار الاسانيد القرءانية في الامام ابن الجزري لشرط تواتر القرءان.

قد يقول قائل الان: لماذا تشغلنا بالعنوانين السابقين ولماذا لم تلتزم بمتاقشة عنوان النسخة المقدمة للمؤتمر؟

يبدو الاعتراض واردا مشروعا لولا ما يلي:

= انه مرتبك تعطي عبارته عكس ما يسعى الباحث الى ايصاله الى الاذهان.

= ان قضية البحث تختلف بين العناوين الثلاثة:

فعنوان الهيئة يرمي الى تفنيد دعوى انحصار الاسانيد والى بيان توانرها خارجه.

وسؤال السائل يهدف الى التوفيق بين التعارضين.

وعنوان نسخة البحث يؤكد الانحصار والتنافي وان كان الاخ الباحث لا يريد هذا على الاطلاق. إلا أن الصيغة تقود الى عكس المراد.

بيان ذلك اننا لا نطلق القول بنيابة حروف الجر بعضها عن بعض فلم يقل بذلك قائل معتبر.

فرغب في الشيء غير رغب عنه.

والدفع عن الشيء معناه رد الاذي والوهم عنه.

وهو غير الدفع به اي اتخاذه حجة.

والدفع فيه تعديل صياغة الاحتجاج به.

وفي حالتنا فمقتضى العنوان دفع الوهم بعيدا لتبقى الدعوى قائمة وهي التنافي بين الانحصار المسلم به وبين التواتر المشكوك فيه .

فيكون الباحث على مستوى العنوان وهو لا يقصد ابدا قد فر إلى ما فر منه . فيقنع المكتفي بقراءة العناوين بهذا المذهب غير المقصود.

كما أنه لا داعي للاطالة عليكم بالنص ان الرفع غير الدفع. ففي الجدل والمناظرة يهدم دليل المناظر من صيغة دليله بأحد القوادح والاعتراضات يصح منها هنا القلب وما يعرف عند الفقهاء بمسالة دفع العبد في مهره.

ثانيا: وقفة مع الموصوع

ننوه في البداية الى ان العرض الذي بين ايدينا ارتفع الى حد كبير والحمد لله عن نقيصة شغل صفحات عروض الندوات المحدد سقف زمنها وصفحاتها بالمقدمات والمسلمات والابجديات المشتركة بين المهتمين , وبتراجم المشهورين وشيوخهم وتلامذتهم وما سوى ذلك مما يسود الصفحات ليبلغ السقف المطلوب ومما يعد من تحصيل الحاصل الذي هو من قبيل العبث واضاعة وقت السامعين..فان جيء الى صلب الموضوع فبملامسة يسيرة لا تتعدى الفقرة والفقرتين لا تروي غليلا ولا تشفي عليلا.

وقد بذل الاخ الباحث الصديق جهدا مشكورا لاثبات تواتر القؤءان من لدن المصطفى صلى الله عليه وسلم وبين ان الاسانسد لا تنحصر فيما اورده الامام ابن الجزري مستدلا لقوله بايراد اسانيد زكريا الانصاري واسانيد المغاربة التي لا تمر اصلا لا على الامام ابن الجزري ولا الامام الداني.

وكان بودي ان يشير البحث الى مفارقات يقع فيها الكثيرون:

& منها اننا نعود الى الوراء بمناقشة ما انتهى فيه البحث من زمان, وإنما يحكى لبيان توجهات فكر العلماء قبل الاستقرار على القول بتواتر العشر.ولينظر في الموضوع فتوى ابن السبكي ونظم السيوطي لجمع الجوامع.

كما ان العودة الى الوراء تفتح الباب امام اسئلة فقهية مشروعة حول الصلاة بالزائد على السبعة التي يناقش الان بسداجة تواترها من عدمه,كانه لم يبلغهم قول الفقهاء بالاعادة في الوقت لمن صلى بالثلاثة فوق العشرة لا الرابعة عشرة.

فالمناقشة في رليي كان ينبغي ان تنصب على الفلسفات والمنطلقات التي دعت اليها كتاريخ فكر ليس إلا, له علاقة بسياساتنا المعاصرة وبناء شخصيات اجيالنا لو وصلت وسالتي كما اريد.

& ومنها ان كثيرا من الباحثين بل والمتصدرين يتناولون مواضيع القرءان والقراءات بمناهج فنون اخرى مختلفة وان اشتركت في الالقاب.

ايها الاخوة. ان الحقول المعرفية تحاكم الى قوانينها وضوابطها ,والى أن مصطلحاتها لا تتفق في المضامين والاعتبارات وان اتحدت في الاسماء.

شتان ما بين التواتر عند القراء الذي تروي فيه الاجيال بالملايين عن الاجيال والملايين وبين تواتر المحدثين الذي لا يكاد ينضبط براي او قول حتى اختلقوا اختلافا كبيرا في العدد والمعدود الى ان يقول القائل منهم من المتشددين ليس في الدنيا حديث متواتر توفرت فيه

تلك الشروط اللهم الا بتساهل كبير في حديث من كذب علي متعمدا.ولتراجع شروح جمع الجوامع وآراء علماء الاصول.

والشذوذ في القراءات" الذي اصبح الان واقول الان هو مجرد انقطاع السند بينما لم يعد للشرطين الباقيين اعتبار بعد الاستقرار" هوغير الشذوذ عند المحدثين الذي يعني مخالفة الراوي لمن هو اوثق منه.

ولا يقولن قائل ان ابن الجزري اخذ بهذا المنهج حين رد روايات البعض بما فيهم جملة من شيوخه لانفراده.فبالرغم من انه ختم به الاستقرار الا انه لم يتابع في كل شيء على الاقل في المدرسة المغربية التي تعاطت معه بكثير من التبجيل الذي لا يفسد للمخالفة الرصينة قضية.

بل والرواية والدراية والاسناد ايضا عند القراء غيرها عند المحدثين.

والاجازة عند المحدثين وفي سائر المتون بما فيها متون القراءات يروى بها تسهيلا وان قيل : إن صحت الاجازة سقطت الرحلة.على انها وحدها في مجال رواية القرءان و القراءات شيك بدون رصيد. وانما تهافت عليها جيل اليوم لما اختلت الموازين فبحت الادعياء ومن صدرهم الاعلام عن اي مشروعية.

& ومن هذه المفارقات الخلط في اذهان المثقفين بين طرق اثبات روايات متواترة في بلادنا ومطالبتنا باثباتها من خلال مناهج تحقيق النصوص .

ولعلكم تدركون وتنتبهون الى ما يؤدي اليه هذا الخلط, وأوضحه الترويج للتمشيخ من الصحف وبالتالي تعبد الله لا بالمتواتر المنفول صوتيا عبر الاجيال الى ما يفهمه فلان وعلان من ذوي الافهام السقيمة من نصوص العلماء, وندع القرءان والتجويد السهل الميسرونتصارع حول الفهم السيء للهمس والاخفاء والفرجة والزم والحصرمة والتكريروالنبر وغير ذلك من الموضات وما اعتبره من بضاعة من لا بضاعة له.كل هذا في غياب اساسيات في الاقراء ومنها ما يرتبط بصحة النقل كالرسوم والوقف والابتداء.

كما انه كان بودي لو امعن الباحث غرضا لا عرضا في تناول مسائل الاسناد التي تدخل اصلا في دائرة اهتمامه والفصل بين الاسناد وتواتر القراءات.

ذلك ان الاحتكام الى هذه المصنفات بهذه الطريقة التي تمخض عنها السؤال هو مصدر الغبش عند الكثيرين .

ان متلقي القرءان والقراءات عن الائمة بالالوف, اذ لا يعقل الا ياخذ عن نافع مثلا .لازيد من خمسين سنة غير اربعة.

فمن هذه الالاف من ينصرف الى واجبات كفائية اخرى غير الاقراء.وممن تمحض للاقراء قلة علماء عنوا بتسجيل اثباتهم او أخاذهم.

ومن شغف بالتسجيل غالبا ما يكتفي بسرد الاهم في نظره من الاسانيد او الاعالي كما تدل عباراتهم.

فنحن اذن امام أحاد تسجيل لا أحاد اخذ .وإلا لما تواترت في الدنيا قراءة. فهذا ابن الجزري الذي نسند اليه عشرنا فرد واحد.وقل مثل ذلك في الداني ومن شيت من العمد عليهم رحمات الله اجمعين.

واود قبل ختام كلمتي التي اوجزتها ان اشير الى مواضيغ كنت افضل لو تناولتها البحوث منها:

= تفسير مواقف الامام ابن الجزري وفلسفته في الترجيح ولا اعني بيان منهجه فالاهم وازع المنهج لا بيانه.

=الاثارالتي خلفها منهجه على من بعده. فقد اراد رحمه الله التوسيع فضيقوا,واراد الاستقلالية فاستعبدوا, تماما كما حدث مع الامام ابن مجاهد.

= ذراسة مواقفه وتراجعاته عبرترتيب مصنفاته.

= اثار اخذ اقواله كمسلمات على مناهج التعامل مع اللهجات واللكنات القارية وكيف عممت جهلا على كل الاحوال لتسويغ ترك الاولويات والانشغال بالثانويات.

= عدم اقبال الامام رحمه الله لاسباب على جهات وما ادى اليه سوء الفهم بذلك.

= كيف نفهم تاخر الدرة عن الطيبة باربعة وعشرين عاما من الناحية القيمية والمنهجية لا ا لاسباب التي نعرفها جميعا؟

= مناقشة تجاوز كونه قنطرة الى مصادره لا سبيل اليها سواه ولا اسناد مستقلا اليها من دونه وأثرذلك على المشافهة وتشجيع المشيخة من الصحف وشغل الناس بالزائد عليه من التحريرات وادعاء ان من لا يقرا بها يقرا بما لم ينزل وتعسير الذي يسره الله وايهام الخلق بان الرسول الكريم لم يكن له شغل سواها الى غير ذلك من المزاعم التي تؤكد ان الشيطان اذا عجز عن اتيان المرء من المعاصي جاءه من الطاعات فشغله بمظهرها عن جوهرها وغلياتها.

اعتذر لكم عن صراحة بعض العبارات ,وانا مستعد لمراجعة بعض الافكار لو وجدت في غيرها مقنعا. وهذه احدي فوائد الملتقيات جزى الله منظميها والقائمين عليها خيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.